باب التقريظ والانتقاد

كتاب خطط الشام

اشرنا في مقتطف ابريل الى ما في الجزء الرابع من كتاب خطط الشام من البحث والاستقصاء عن العلم والادب ورجالها في بلاد الشام من اقدم عصور التاريخ الى الآن. وبعد ذلك انتقل المؤلف الى الكلام على الفنون الجميلة وقال انها سبعة وهي الموسيقى والغناء والتصوير والنقش والبناء والفصاحة والرقص وانهُ كان لبلاد الشام حظ وافر منها بقدر ما ساعدتها بقعتها وطاقتها

والمشهور ان الفنون الجميلة خمسة اصلية وهي البناء والنحت والتصوير والموسيقى والشعر والباقيان فرعيان وهما الرقص والتمثيل. وقد استقصى المؤلف اكثر ما يعرف عن اصحاب هذه الفنون في بلاد الشام من عهد الحثيين والفينيقيين اي منذ نحو اربعة آلاف سنة الى يومنا هذا وذكر اسماء كثيرين منهم

اما الموسيقى والغناء فاخبار النابغين فيهما من العرب والمستعربين كثيرة ولاسيما في كتاب الاغاني. واستمرَّ ظهورهم الى يومنا هذا وقد لقينا بعضهم وكان غناؤهم وعزفهم يطربانا اشد الطرب. وقد حُفظت اصوات بعضهم في صفائح الفونوغراف فهي اثر خالد لهم. وجدٌ لو حفظت اصوات النابغين من اسلافهم مثل معبد والموصلي ولو بمثل العلامات الافرنجية

اما النقش والبناء فآثارهما الباقية في الشام من عهد اليونان والرومان غاية في الجمال والفخامة. ولكن ما بقي مما صنع بعد انتشار المسيحية لا يقابَل بما كان قبلهُ حتى الصور الباقية من عهد الرومان في بعض الكهوف اجمل جدًّا مما صنع بعدهم. وليس للعرب حظ كبيرٌ من هذه الفنون الثلاثة وهذا شأن كل الامم السامية على ما يظهر لنا بالاستقراء. واذا كان ساميو الشام قد قصروا في هذه الفنون عن الامم الآرية من فرس ويونان واوربيين فليس لذلك شأن كبير في العمران لانها من الكماليات. اما الحاجيات اي الزراعة والصناعة والتجارة فكان لاهل الشام فيها اليد الطولى دائمًا فهم الذين ربَّوا نباتًا

برياً حتى كبرت حبوبهُ وصار قمحاً . و يظهر لنا من وجود الاشجار البرية الصغيرة الثمر كالعنب والاجاص والبرقوق والزعرور والتين والتوت على مقربة من البساتين التي تزرع فيها الانواع البستانية من هذه الاثمار انها كلها كانت برية وان الشام وطنها الاصلي فرباها اهلهُ في بساتينهم وتعهدوها بالتلقيح والانتقاء جيلاً بعد جيل حتى بلغت ما بلغتهُ من الجودة وان كانوا قد نقلوا الى الشام شيئاً من الاشجار البستانية التي لا توجد برية في بلادهم كالرمان والتفاح فلا ينقص ذلك من فضلهم . وكلام المؤلف اعتراف صريح بان زراعة بلاد الشام كانت قبل دخول العرب في الدرجة العليا بدليل ما فيها من الآثار القديمة الدالة على عمران راقٍ وثروة واسعة و بدليل الوصف الذي وصفت به حين دخلها العرب . قال « واغتبط العرب بما وجدوهُ من الخصب في هذه الربوع بعد قحولة الحجاز و بواديه المحرقة حتى قال زياد بن حنظلة في فتح عمر مدينة ايلياء (اورشليم) من قصيدة

والقت اليهِ الشام افلاذ بطنها وعيشاً خصيباً ما تعدُّ مآكله

والظاهر في ان العرب الاولين الذين دخلوا الشام جاروا اهلهُ وعنوا بالزراعة اشد عناية . وكلام المؤلف في ذلك مؤيد بالشواهد التاريخية الكثيرة فصارت ربوع الشام كلها بساتين وحراجاً وحقولاً ولكن لم يطل الزمن حتى ضعف شأن الزراعة . فقد نقل عن ابن حوقل ان جبل القلمون وجبل المانع وجبل الشيخ المحيطة بدمشق كانت منذ القرن الرابع (الهجري) مجردة من اشجارها

واستطرد من الكلام على حالة الزراعة في الزمن الغابر الى حالتها الحاضرة وما يجب ان يعمل لترقيتها . والكلام في ذلك وفي سائر ابواب الكتاب يصح ان يكون دستوراً للعمل بهِ و يوجب لواضعهِ الشكر الجزيل . وحبذا لو نشرت الفصول الاخيرة من الصفحة ١٨٤ الى آخر هذا الجزء في كتاب خاص لانهُ لئن كانت معرفة تاريخ الماضي نافعة فمعرفة الحاضر انفع ومعرفة ما يجب عملهُ في المستقبل اشد نفعاً من الاثنتين . وفي بلاد الشام من حلب الى عريش مصر من مصادر الرزق الطبيعية ما يكفي لمعيشة عشرة ملايين من النفوس اذا احسن استغلالها والانتفاع بها حسب وسائل الاستغلال والانتفاع الحديثة . وليس السوريون اقل من غيرهم من امم الارض همة ومقدرة على العمل ولكن . . . وهنا نقف شاكرين لصديقنا السيد محمد كرد علي اتحاف ابناء العربية بهذا السفر الجليل راجين أن يلحقهُ بفهرس على حروف المعجم يسهل المراجعة على طالبي الفائدة

ادباء حلب

في القرن التاسع عشر

وضع هذا الكتاب اديب حلب الكبير قسطاكي بك حمصي وقال في مقدمته « انا لم نتعمد في هذه الرسالة الاَّ ذكر ادباء القرن التاسع عشر من الحلبيين اي من كان لهُ شعر معروف او وصل الينا شيءٌ من شعره وكذلك من كانت لهُ مشاركة في طائفة من العلوم واثار مشهورة ولم نتعرض لترجمات الفقهاء وعلماء علم بعينهِ كالنحو والطب»

ثم ذكر تراجم خمسين من هؤلاء الادباء بينهم نفر ممن تفخر بهم الاداب العربية وختمها بترجمتهِ واثبات مختارات من نثرهِ ونظمهِ ووصف رحلاتهِ الى باريس والقاهرة والقسطنطينية ومن غرر كتاباتهِ وصفهُ لقصور الخليفة المأمون في محاضرة لهُ قال:

وكان يشرف عليها الراكب في دجلة من بعدٍ شاسع ، ولاسيما قبابها ، فمن مجصَّص بالجصّ الابيض الناصع كالفضة البارقة ، ومن مطليّ نصفهُ السفلي بالاخضر الناضر والنصف العلوي بالذهب النضار ، وفوقها جامات الذهب تتلامع كالشهب المتقدة ، ثم تبدو للعيون تلك الحدائق الممتدة الى اقصى مدى البصر ، تتسرب فيها جداول الماء من يرَكٍ عظيمة الاتساع ، مختلفة الاوضاع ، ينصبّ فيها الماء كالفضة الذائبة من افواه حيتان او سباع ، او ثيران ونسور ، من مرمر مختلف الالوان ، بالغ من الصناعة نهاية الاتقان ، بين جنّات قد ازدحمت غياضها ، واشتبكت اشجارها ، وتعانقت اغصانها ، وامتدّ ظلالها ، يسير فيها الداخلُ تحت اقبيةٍ واطواق ، من فسيفساء الاوراق ، في مماشٍ كأنما ارضها خمائل سندسية ، وعلى جانبيها درابزينات لا يُدرك الطرف منتهاها ، قد اعترش عليها الياسمين ، وتعلّق بها الورد والنسرين ، ونمت حولها الازاهر والرياحين ، وقامت وسطها القصور الباذخة ، والصروح الشامخة ، والاروقة المرتفعة ، والجواسق المتقنة ، ذوات الساحات المترامية ، والصحون الفساح ، والاتنية الرحاب ، والاندية العظيمة ، طبقاتها ابواب ، وابوابها حيرة الالباب ، قد أُرخيت عليها ستور الديباج والاستبرق ، كأنها اجنحة الطواويس ، وفُرشت ارضها بانواع الفسيفساء تحاكي ازاهر الجنات ، ومتعادي الحيوان ، من اسود ونمور وغزلان برخامٍ متعدد الالوان ، يخالطه خشب الصندل والعود الهندي ، وفي كلّ بهو بركة او يرك تنساب اليها المياه على ملوّن المرمر كالتبين الذائب ، والسمك على اختلاف الاشكال والالوان ، تصعد في مائها وتغطس ، وتعوم كما

يعوم فيها البط ، وقد رقشت حيطان تلك الابهاء بالنقاشي البديع ، يحاكي بالوانه ورسومه ازهار الربيع ، ورلعت سقوف تلك الاندية الرحاب ، على اعمدة الرمر ذوات الالوان الباهرة ، وقد أُحكم صنعها ونقشها ، وتكامل حسنها بتذهيبها ورقشها ، وقامت قبابها على قناطر وحنايا واضلاع ، بلغت بها صناعة الهندسة غاية الابداع ، ودارت فيها الطيقان ، كالقلائد في اعناق الحسان ، وقد قعدت على اساطين وسوار رُكزت على قواعد من العمران ، وتقنعت بافداح من الرخام ، وبلغت من الزهو والارتفاع

وقد طبع الكتاب على نفقة مؤلفه بالمطبعة المارونية بحلب

السائح الممتاز

جاءنا السائح الممتاز لسنة ١٩٢٧ فاذا هو كسابقيه روض من الادب الراقي شعراً ونثراً بدأهُ محرره بتعريف كتّابه واحداً واحداً ، ومن يجهل جبران خليل جبران وميخائيل نعيمه واليا ابو ماضي ووليم كاتسفليس وندره حداد ورشيد ايوب وفيليب حتي وامثالهم من نوابغ الادب العربي وبعضهم من نوابغ الادب الافرنجي ايضاً

وفي هذا العدد مقالات كثيرة مختلفة المواضيع بين فلسفية وتاريخية وادبية وكثير من الشعر الراقي . ومن القسم الادبي رواية للشاعر نسيب عريضه وصف فيها احتضار ابي فراس الذي يقال فيه ان الشعر بدأ بملك وهو امرء القيس وختم بملك وهو ابو فراس من امراء بني حمدان وهو ابن عم سيف الدولة ممدوح المتنبي . واخرى موضوعها الرجل غير المنظور للشاعر المصور الفيلسوف جبران خليل جبران ويليها اربع منظومات للشاعر الذي ترضع المقتطف باشعاره ايليا ابو ماضي ثم مقالة لغرنك كراين موضوعها العمل والسعادة واخرى موضوعها شرف العواطف للكاتبة الروسية نادجدا يوشين . وقد نقلنا عن السائح سيرة رجل عصامي عالي الهمة اسمهُ روفائيل صليبا نشرناها في هذا الجزء ص ٥٤١

حرية الفكر وابطالها في التاريخ

كتاب وضعهُ الاستاذ سلامه موسى الكاتب المعروف بابحاثه العلمية والاجتماعية بدأهُ بقوله تحت عنوان « شهوة التطور » « لم نسمع قط ان انساناً تقدم للقتل راضياً او كدّ نفسهُ حتى مات في سبيل اكلة شهية يشتهيها او عقار يقتنيه وانما سمعنا ان ناساً عديدين تقدموا للقتل من اجل حقيقة جديدة آمنوا بها ولم يقوم عليها الجمهور او الحكومة ومعنى ذلك ان شهوة التطور في نفوسنا اقوى جداً من شهوة الطعام او اقتناء المال

« والجمود طبيعة المؤسسات الاجتماعية بينما التطور هو طبيعة الحياة فاذا اتسعت الهوة بينهما عدت الحياة الى الخروج والثورة والتحطيم. وهذا هو معنى استشهاد الانبياء والعلماء والفلاسفة وغيرهم في سبيل آرائهم الحديثة الخ »

وأبان في فصل آخر ان التفكير لا يكون حرًّا الاَّ اذا استطاع المفكر البوح والافضاء بافكاره الى غيره فان الفكر قوة من قوى العقل اذا انحبست عذبته وآلمته

ومن فصول الكتاب اسباب التعصب . المسيحية والحرية الفكرية . البابا . الخليفة . الاسلام والعلوم والفنون . المطبعة . نزعة الشك . تطور الحرية الفكرية في مصر

وقد عنيت مجلة الهلال بنشره ملحقًا بالعدد السادس من سنتها الحالية وهو يقع في ٢٠٠ صفحة متوسطة الحجم

ادب وتاريخ

وضع هذا الكتاب الدكتور محمد صبري استاذ التاريخ الحديث في دار العلوم وقد وقف نصفهُ الاول على بحث مستفيض في شاعرين من أكبر شعراء مصر في نصف القرن الماضي بل مؤسسي دولة الشعر فيها نعني بهما محمود سامي باشا البارودي واسماعيل باشا صبري . وفي كلتا الرسالتين يذكر الدكتور صبري سيرة الشاعر وتحليل فكره ونفسه وشعره مستشهداً باشعاره واقوال الادباء وانتقاد الاوربيين بوجه عام والفرنسويين بوجه خاص

قال في البارودي : « لا اعرف رجلاً كالخ الردي مثلما كافحهُ البارودي وطاعن خيلاً من فوارسها الدهر مثلما طاعنها ، وخاض وقائع الحياة مثلما خاضها ... وفي اعتقادي ان اكثر شعره ارتباطاً بحياته شعر المدنى شعر العواطف شعر الوجدان شعر الالم . وليس في هذا الشعر ما يبعث على اليأس والاستسلام او يولد خوراً في العزيمة وانما هو درس من دروس الشجاعة والصبر والجلد ، درس من دروس الوفاء وعلو النفس وكرم العنصر »

وقال في صبري باشا «قلنا ان صبري انفرد بالشعر الغنائي بين معاصريه وتزيد على ذلك ان الفضل الاكبر في ارتقائه الى هذا المنصب العالي في الادب يرجع الى مقاطيعه التي حلق بها في اعلى سماء. وتمتاز هذه المقاطيع بالروح التي تشفُّ عنها لا بالمعاني الغريبة او الجديدة التي لا يفهم بعض الناس الشعر بدونها ، تمتاز بتصوير العاطفة والوجدان تصويراً

هادئاً لا يشوبهُ تعمل ، تصويراً يخاطب القلب قبل العقل ويرد الشعر الى نبعهِ الصافي الاول وهل كان الشعر الاَّ شعوراً وهل كانت تقاطيع الاعاريض الاَّ غناء »

وقد جمع في ختام كل من الرسالتين طائفة مختارة من شعر الشاعرين . اما النصف الثاني من الكتاب فيشمل محاضرة في تاريخ الحركة الاستقلالية بايطاليا وفصولاً ادبية متنوعة نشرها في صحف مختلفة

وقد طبع الكتاب طبعاً متقناً بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

عشرة ايام في السودان

دعي الدكتور هيكل رئيس تحرير السياسة للذهاب الى السودان مندوباً عن الصحافة العربية المصرية لحضور حفلة افتتاح خزان سنار التي اقيمت في ٢١ يناير سنة ١٩٢٦ فقضى فيهِ عشرة ايام بين الخرطوم والجزيرة وجبل الاولياء فشاهد سير العمران في تلك الربوع وبحث في مشروعات الري الكبرى عن كثب ووصف ما رآهُ في الذهاب والاياب من المشاهد الاثرية والطبيعية ، وكان في كل ذلك يكتب بقلم يمدهُ خيال الشاعر وعقل المفكر ويراعة الصحافي واخلاص الوطني . ودوَّنهُ في فصول جمعت في كتاب قدمهُ الى اخوانهِ المصريين لان « السودان على متناخمتهِ لمصر وعلى امتلاء قلوب المصريين باسمهِ وبذكره بعيد عن ان تكون في اذهانهم صورة مضبوطة لهُ . فمنهم من يخالهُ بلاداً جرداء لا تصلح لمقام ولا يمكن ان تكون الاَّ منفى لمن غضب عليهِ . . . . ومنهم من يتوهمهُ مقام همج لا اهل فيهِ لرواج زراعة او صناعة او تجارة وكثيراً ماروى عنهُ الزاورن ان اهلهُ اشد الناس عداوة للسعي والعمل وانهم لا يريدون من الحياة الاَّ بلغة تقيم الحياة . فليس بهم الى مياه النيل من حاجة وليس الى المقام بينهم باسم المدنية او التعمير سبيل . هذه الافكار وما اليها تروج في مصر ومنها كثير فاسد اشد الفساد وتضر بالمصريين ابلغ الضرر »

وقد عني بنشر هذا الكتاب صاحب المكتبة العصرية بمصر

المتجد للاب لويس معلوف اليسوعي

لما طبع هذا الكتاب اول مرة سنة ١٩٠٨ وصفناهُ بما يستحقهُ وقد اعاد جامعهُ الفاضل طبعهُ الآن ووسعهُ وزادهُ صوراً فاستحق الشكر الجزيل

الصناعات والصناع

للكاتب الانكليزي ارثر كووك كتاب بهذا العنوان في وصف اعمال الفلاح والصنّاع والبستاني والخباز والحائك والنجار والصبان والوراق وغيرهم وما يتصل باعمالهم من الحقائق العلمية والاعمال الطبيعية والصناعية وقد قررته وزارة المعارف في امتحانات اللغة الانكليزية الشفوية لطلبة القسم الاول من المدارس الثانوية والصناعية . عني بنقله الى العربية عوض افندي جندي من موظفي ادارة الخزينة بسكة حديد مصر . ولم يكتف بنقله بل توسع في شرح الغامض من الفاظه وتذييله بما يزيد فائدته وطبعه بمطبعة مصر وجعل ثمنه ١٥ غرشاً مصرياً

مملكة الخيال — وهي مقالات مختارة لتحفنن المبدع جبران خليل جبران اختارها عثمان افندي شاكر وطبعت بمطبعة النهضة بمصر . فتحناها فاذا نحن امام هذه العبارة البليغة في وصف الليل « في ظلالك تدب عواطف الشعراء وعلى منكبيك تستفيق قلوب الانبياء وبين ثنايا ضفائرك ترتعش قرائح المفكرين فانت ملقن الشعراء والموحي الى الانبياء والموعز الى المفكرين والمتأملين » والمقالة كلها على هذا النمط من التصور البديع

ارض كليوبترة — للكاتبة الايطالية الكبيرة السيدة آني ڤيڤانتي نقله من الايطالية باسلوب عربي رشيق طه افندي فوزي بمحكمة الاستئناف مصر الاهلية وقال فيه الاستاذ لويجي رينالدي المستشرق الايطالي انه « اصدق مرآة تجلت فيه محاسن هذه البلاد المحبوبة وعجائبها الخالدة ومجدها التالد والطارف . ولا بدع فان السيدة آني ڤيڤانتي واضعة هذا السفر الجليل من اكبر الكتاب في اوربا ومن اعظمهم شهرة في عالم الادب »

وقد طبع الكتاب بمطبعة الاعتماد بمصر وثمنه ٦٠ مليماً

النفس الحائرة — رواية اجتماعية خلقية غرامية عصرية وضعها حضرة الكاتب الفاضل الشيخ فريد حبيش ورمى بها الى غايات خلقية اجتماعية وعني بنشرها صاحب المطبعة العصرية بمصر

البناية الحرة — وهي خطرات عن الماسونية للدكتور احمد زكي ابو شادي اودعها خطبة له في حفلة تدشين محفل « البدر المنير » المؤقر في بور سعيد سنة ١٩٢٦